

إضاءات نقدية (مقالة محكمة)

السنة الحادية عشرة - العدد الثالث والأربعون - خريف ١٤٠٠ش / أيلول ٢٠٢١م

صص ٣٦ - ٩

انقلاب ١٩٥٣ في إيران وتفكك خطاب الاستشراق في رواية "سباق المسافات الطويلة"

كمال باغجری*

الملخص

تتمحور رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف حول عميل بريطاني تمّ إيفاده إلى إيران بغية إفشال مشروع تأميم صناعة النفط، وإسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق، والحفاظ على المصالح الاستعمارية البريطانية في إيران. تعدّ الرواية منعطفاً في الأعمال السردية لعبد الرحمن منيف، سواءً من حيث محورية شخصية المستعمر أو في جانب محاكاة النصوص الاستشراقية. على هذا، سعت هذه الدراسة إلى تحليل دلالات وتظاهرات تفكك الخطاب الاستشراقي في الرواية بالتركيز على تاريخ إيران في خضمّ انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ضدّ حكومة الدكتور مصدق. إنّ المادتين التاريخ والاستشراق يشكّلان المكوّنين النظريين لهذه الدراسة؛ ففي مادة التاريخ، رسم الكاتب صورةً جديدةً لعملية تحول الاستعمار التقليدي وظهور الاستعمار الجديد موظّفاً أحداث وشخصيات انقلاب ١٩٥٣ في إيران. أما في مادة الاستشراق، فقد قدّمت الرواية، عبر السياق الناصي ومحاكاة النصوص الاستشراقية من منظور "أنا المستعمر" و"الآخر المستعمر"، ملامح تفكك أسس الاستشراق في فترة ما بعد الاستعمار حيث تبحث الشعوب الشرقية عن الهوية المستقلة مطالبة ببناء علاقة يسودها الاحترام المتقابل.

الكلمات الدلّيلية: رواية سباق المسافات الطويلة، عبد الرحمن منيف، الاستشراق، انقلاب ١٩٥٣ في إيران.

*. أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، مجّمع الفارابي، قم، إيران

kbaghjri@ut.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠٢/٢٢ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠١/٢٥ق

المقدمة

إنَّ عبد الرحمن منيف دائماً ما كان يولى اهتماماً خاصاً في أعماله السردية بالحديث عن مضمونين أو موضوعين جوهريين؛ الأول، الأنظمة الشمولية والدكتاتورية العربية في الشرق الأوسط ودور سياساتها القمعية في تخلف المجتمعات العربية سياسياً وثقافياً؛ وثانياً، علاقات الشرق الأوسط بالعالم الخارجى ولاسيما القوى الغربية والإمبرالية. وقد تعمق المضمونان في نسيج مؤلفات عبد الرحمن منيف تعمقاً، لدرجة لو اعتبرناهما الثيمة أو الفكرة الأصلية لرواياته، لم نتخذ المبالغة سبيلاً. تتجلى سمة منيف الفريدة بنوعها مقارنةً بالكتاب العرب الآخرين، في استمراريته في طرح أسس مفاهيمية ما بعد الكولونيالية أولاً، وتخصّصه العلمى وخبراته الفردية في القضايا ذات الصلة بالتطورات ما بعد الاستعمارية في المقام الثانى. فمن جهة، يحمل منيف شهادة الدكتوراه في علم اقتصاد النفط من جامعة بلغراد، ولديه إلمام تام بالتأثيرات الكبيرة لقضية اكتشاف النفط على تطورات الشرق الأوسط؛ ومن جهة أخرى، يحمل تجارب كثيرة فى النضالات الثورية والحركات المناهضة للاستعمار. (بلقزيز وآخرون، ٢٠١٣م: ٩٧٦) هاتان السمتان المهمتان قد أدتا إلى جعل روايات منيف، عند رسمها ملامح الشرق الأوسط فى فترة ما بعد الاستعمارية، صوراً متعددة الجوانب تلقى الضوء على مختلف جوانب السيطرة الغربية على هذه المنطقة، وذلك على عكس الكثير من الكتاب العرب. فإنّ تواجد المستعمر الغربى، وتأثير النفط على علاقات الشرق الأوسط بالعالم والأنظمة العميلة والقمعية العربية وولائها للمركزية الغربية .. كلّها تشكّل جوانب لأضلاع هذا الهيكل متعدد الأوجه.

يجب اعتبار رواية "سباق المسافات الطويلة" منعطفاً مهماً فى روايات عبد الرحمن منيف؛ فبعد ما تطرّق فى المرحلة الأولى من كتابة الروايات -التى تنطوى على رواية "الأشجار واغتتيال مرزوق" (١٩٧٣)، و"قصة حب موسية" (١٩٧٤)، و"شرق المتوسط" (١٩٧٥)، و"حين تركنا الجسر" (١٩٧٦)، و"النهايات" (١٩٧٧) - إلى انعكاس السياسات القمعية لأنظمة شمولية شرق أوسطية على روح ونفسية المثقف العربى، خاض فجأة عام ١٩٧٩ وبكتابة "سباق المسافات الطويلة"، تجربة التحول النوعى والمقاربة

الجديدة، وجعل معالجة التأثيرات الكبيرة للتنقيب عن الذهب الأسود فى الشرق الأوسط على تحولات الاستعمار فى هذه المنطقة على رأس أولوياته. فى هذه الرواية، أصبحت العلاقات بين الأنا والآخر منطلقاً للعالم السردى لدى منيف، إذ كان أبطال الروايات فى المؤلفات السابقة (على سبيل المثال "رجب إسماعيل" فى "شرق المتوسط"، و"منصور عبد السلام" فى "الأشجار واغتيال مرزوق") يرون أوروبا المدينة الفاضلة، وكانوا يذهبون فى الرواية إلى أن تحرّر الشرق من الأنظمة المستبدّة والسلطوية يتوقّف على تبعية النماذج الغربية. غير أنه فى "سباق المسافات الطويلة" نحن أمام حالة مقلوبة لهذه الظاهرة؛ وهذه المرة ومن منظور شخصية بريطانية، يلقي الكاتب الضوء على رؤية سلطوية وإمبرالية للحضارة الغربية تستغلّ الشعوب وتُهيمن على ثرواتها ومواردها الطبيعية اعتماداً على الأساليب القمعية مثل الاغتيالات والانتقابات العسكرية.

أسئلة البحث

١. ما هى تمظهرات وتجليات انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ فى إيران (ضدّ حكومة الدكتور مصدّق) فى رواية "سباق المسافات الطويلة" لعبد الرحمن منيف؟
٢. ما هى دلالات ما بعد كولونيلية لانقلاب ١٩٥٣ فى رواية "سباق المسافات الطويلة"؟

فرضيات البحث

١. لقد ألقى انقلاب ١٩٥٣ فى إيران بظلاله على "رواية سباق المسافات الطويلة" وقد تجلّت تمظهراته فى كافة العناصر السردية منها: الشخصيات، والزمن، والمكان، والوصف السردى ومادة الحكاية.
٢. لقد قام الكاتب، بناءً على أحداث انقلاب ١٩٥٣ فى إيران ومن خلال مادّتى التاريخ والاستشراق، بتقديم صورة جديدة لمرحلة ما بعد الاستعمار فى الشرق الأوسط (فى ظلّ اكتشاف النفط) وتفكك الخطاب الاستعمارى والاستشراقى الكلاسيكيين القديمين.

خلفية البحث

مع أنّ رواية "سباق المسافات الطويلة" هي الرواية الوحيدة في العالم العربي التي حوّل كاتبها تاريخ إيران وتحديدًا انقلاب ١٩ أغسطس عام ١٩٥٣ على حكومة الدكتور محمد مصدّق بحذافيره (الأحداث والشخصيات والأجواء السياسية وبنية المجتمع الإيراني و...) إلى مادة سردية، إلا أنها لم تحظ كثيرًا باهتمام الباحثين والمترجمين الإيرانيين في مجال الأدب العربي. هذا وإنّ بعض المفكرين والباحثين العرب قد أولوا اهتماماً كبيراً بهذه الرواية، وقد أشاروا إلى علاقتها بالاستعمار، لكنهم وبسبب عدم الإلمام بالأجواء السياسية والاجتماعية لإيران (خاصةً في السنوات القريبة من انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري) قدّموا قراءة ناقصة ومؤسّسة على معلوماتهم للجوانب التاريخية للرواية، وقد أشاروا بإيجاز إلى جوانبها التاريخية، اعتماداً على أقوال الكاتب ليس إلا. إنّ أهمّ الأبحاث المماثلة في هذا المجال هي:

- «الآخر الشرقي من منظور الأنا الغربية في رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف» لهادي نظري منظم، وكبرى روشنفكر، ومحمد رجبى، (١٣٩٩ش): كما يتّضح من عنوان المقالة، قام المؤلفون بتحليل نظرة الأنا الغربية تجاه الآخر الشرقي مستنتجين أن رؤية الشخصية الغربية تجاه الشرق تتغير في خضمّ أحداث الرواية. لكن على الرغم من وجود بعض المفاهيم النظرية المماثلة بين هذه المقالة والدراسة الحاضرة، تختلف الإثنتان في كلّ من الأسس النظرية والمنهجية، وكيفية تناول أحداث الرواية، والنتائج، إذ لم يشر مؤلفوا المقالة إلى تاريخ إيران المعاصر أو تفكّك المادة الاستشراقية في الرواية.
- «تاريخ مدارى درمان هاى "سووشون" از سيمين دانشور و "سباق المسافات الطويلة" از عبد الرحمن منيف» لرضا ناظميان وفاطمة كاظمى، (١٣٩٤ش): لكن المقال وخلافاً لعنوانه (في الأجزاء ذات الصلة برواية "سباق المسافات الطويلة") ركّز على الجوانب الشكلية في الرواية ولم يتطرّق إلى الجوانب التاريخية فيها إلا قليلاً.
- كتاب "أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف" لصالح إبراهيم

(٢٠٠٤م): يتطرق المؤلف إلى تأثير اكتشاف النفط وقضية الاستشراق على الرواية. مع هذا، فإنّ الكاتب غالباً ما أولى اهتماماً بمؤلفات منيف الأخرى ولاسيما "مدن الملح" و"أرض السواد"؛ وقد أفرد قضايا محددة عند التطرّق إلى رواية "سباق المسافات الطويلة". على سبيل المثال، فان الكاتب وفى فصل بعنوان "الاستشراق فى سباق المسافات الطويلة"، تطرّق فى صفحة واحدة إلى فكرة الاستشراق فى الرواية. وإنها، على غرار المصادر الأخرى ذات الصلة بمؤلفات منيف، لا تعدو كونها إشارة مقتضبة إلى صورة تجربة إيران فى هذه الرواية.

- «مساءلة التاريخ فى رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف» للرشيد بوشعير، (٢٠٠١م): لقد سلّط الكاتب الضوء على علاقة رواية "سباق المسافات الطويلة" بالتاريخ وعملية توظيف الأحداث التاريخية لخدمة الثيمة السردية؛ إلّا أنّه وعلى الرغم من ذلك، لم يتوغّل الباحث فى خضمّ السياق التاريخى للرواية ولاسيما صورة انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكرى فيها.

ملخص الرواية

هذه الرواية وبشكل وجيز عبارة عن قصة عميل بريطانى يدعى "بيتر ماكدونالد"، عينته حكومة بريطانيا، وبالتحديد على يد "راندلى" الذى يلعب دور الأب الروحى لبيتر، للتوجّه إلى أرض شرقية، كى ينقذ الإمبراطورية البريطانية التى تمرّ بمرحلة الإنهيار، ويقوم بإحياء دورها السابق فى الشرق. إنّ أجواء القصة ترسم فى المخيلة بشكل واضح أوضاع إيران فى حقبة رئاسة الدكتور محمد مصدق للوزراء، وفى خضم انقلاب ١٩٥٣ العسكرى، وذلك بالرغم من أن الكاتب لا يشير فى القصة بشكل مباشر إلى الشخصيات أو الأمكنة التاريخية بالتحديد. فماكدونالد الذى قد ذاق مرارة الأسر فى معسكرات النازية فى الحرب العالمية الثانية، ثمّ عين موظفاً رفيع المستوى فى شركة نفط بريطانيا، يسافر أولاً إلى مدينة زيوريخ وثمّ يتوجه إلى بيروت. وبعد المكوث فى بيروت لأسبوع من الزمن والتعرّف إلى عدد من العملاء هناك (عباس

وشيرين وميرزا وأشرف) يتوجّه إلى مقصده الرئيس وهو إيران. من الفصل الثاني أى منذ دخول مكدونالد فى إيران حتى الفصل الخامس (إذ يفرد له ما يقارب ٣٠٠ صفحة من الرواية) ينخفض عنصر الفعل والحدث إلى أقل مستوياته. وطيلة الفصول الثلاثة يسرد الكاتب مشاهدات ومونولوج مكدونالد الداخلى حول إيران وإلى حد ما حديثه مع العملاء الداخليين ولاسيما شيرين. وفى الفصل الخامس (آخر ثلاثين صفحة من الرواية)، يبرز عنصر الحدث مرة أخرى، ويعرف القارئ على الفور ومرة أخرى من خلال مونولوج داخلى لماكدونالد، بأن القوات الأمريكية تمكّنت من الإطاحة بحكومة "العجوز" (الدكتور محمد مصدق) وذلك بانقلاب عسكري، وتسلمت حكومة عسكرية مقاليد الأمور. على هذا، تنتهى رواية "سباق المسافات الطويلة" بإخفاق مهمة بيتر مكدونالد وعلى مستوى أعلى، إخفاق إمبراطورية بريطانيا فى الشرق وظهور قوة امبريالية حديثة العهد أى الولايات المتحدة الأمريكية.

تفكّك خطاب الاستشراق فى رواية "سباق المسافات الطويلة"

يشير عبد الرحمن منيف فى مقابلة مع فيصل درّاج، إلى الكمّ الوفير من الأحداث الواقعية التى أوردها فى رواية "سباق المسافات الطويلة" وعلى وجه التحديد الانقلاب العسكرى على حكم محمّد مصدّق، قائلاً أن "سباق المسافات الطويلة" هى الرواية الوحيدة، تقريباً، التى استخدم فيها هذا الكمّ الكبير من الأحداث الواقعية كما حصلت. كما يشير الكاتب فى نفس المقابلة إلى المادة الاستشراقية للرواية قائلاً: نحن ننظر دائماً للغرب ونقيمه من خلال نظرتنا الشرقية، أما كيف ينظرون هم، وكيف يقيموننا، كيف نصرّف بنظرهم، وما هى ردود أفعالنا... فهذه تتطلّب تقمّص الآخر، وبالتالي رؤيته لمنطقة تعيننا. (منيف، ٢٠٠٧م: ٢٣٦ و٢٣٧) بقليل من إنعام النظر فى ما تقوّه به منيف من عبارات وبالطبع فى نص "سباق المسافات الطويلة"، يصبح بإمكاننا ملاحظة عنصرين مهمين فى بنية هذه الرواية: عنصر التاريخ وعنصر الاستشراق. هذا وقد يتساءل القارئ بأنّ الاستشراق يندرج بشكل أو بآخر بصفته فضلاً لعنصر التاريخ، غير أنّ الدارس يرى بأنّ عنصر التاريخ هو الإطار الموضوعى والحقيقى للأحداث، بينما

نواجه فى الاستشراق قراءة مختلفة وذات اتجاه أيديولوجى لعنصر تاريخى. فيما يلى تقدّم قراءة لرواية "سباق المسافات الطويلة" بالنظر إلى عنصرى التاريخ والاستشراق.

عنصر التاريخ: انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكرى والتحول النوعى للاستعمار كما جاء ذكره، فإنّ الكاتب لم يشر مباشرة وبصراحة إلى زمان أو مكان أو شخصيات تاريخية ارتبط اسمها بانقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكرى بشكل أو بآخر. وقد يكون هذا هو السبب فى تجاهل جميع الباحثين والنقاد ممن تناولوا هذه الرواية بالتحليل، التطرّق إلى الوصف التفصيلى فى تطبيق فضاء الرواية على إيران فى عهد مصدق. (انظر: إبراهيم، ٢٠٠٤م: ٢٢٧؛ جاسم الموسوى، لاتا: ٢٢٩-٢٤٥؛ صالح، ٢٠٠٣م: ١١٧-١٣٣؛ وحسين شريف، ٢٠١١م: ٢٦-٣٣) غير أنّه من الواضح إستحالة تقديم صورة واضحة المعالم لدلالات الرواية، دون استيعاب السياق التاريخى للرواية وصورة انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكرى الواضحة فيها. على هذا كلّه، قام الدارس بتوظيف المنهج التوصيفى-التحليلى بدراسة العلاقات الواضحة لفضاء الرواية مع حقبة ٢٠ مارس ١٩٥١ حتى انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكرى، وجاءت النتيجة فى الجدول أدناه:

أسماء الشخصيات والأحداث	المعادل التاريخى (صفحات الرواية)
العجوز	الدكتور محمد مصدق: (١٦٨) و(٢٤١) و(٣٧٤) ..
الآخرون	الاتحاد السوفيتى: (٢٨١) و(٢٨٦) و(٣١٦) ..
العاهل المفدى	آية الله الكاشانى (٣٨٠)
المنتمون إلى الآخريين/اليساريون	حزب توده (٣١٦) و...
المتدينون	أنصار آية الله الكاشانى (٣٢٧) ..
أخت الشاه والمرأة المتجبرة القوية	أشرف البهلوى، والإشارة إلى دورها البارز فى الانقلاب وخاصة عودتها إلى إيران باسم مستعار ونقل رسالة الغرب للشاه (٣٧١)
المجرمون المحترفون	البلطجة وأنصار شعبان جعفرى: (٢٥١)، (٢٥٤)، (٣٧٨) ..

الدكتور حسين فاطمي؛ إشارة إلى اعتقاله في ملجأ وهجوم جماعة شعبان جعفرى عليه بالسكين والعصا (٣٩٣)	الوزير الأول
شرح خروج القوات البريطانية من إيران بعد تأمين النفط (١٦٤ و ١٦٥)	خروج القوات البريطانية
إشارة إلى لقاء لوئى هندرسون (السفير الأمريكى فى طهران) مع الدكتور مصدق (٣٢٧)	لقاء العجوز بالسفير الأمريكى
حل المجلس السابع عشر بأمر من الدكتور مصدق (٣٧٦)	حل البرلمان
إشارة إلى خوف أمريكا من وحدة الوطنين واليساريين وكذلك هيمنة الاتحاد السوفيتى على إيران (٢٨١) و (٣١٦ و ٣١٧)	خوف أمريكا من زيادة قوة الآخرين
إشارة إلى تأثير تأمين النفط الملهم على حركات مماثلة فى العالم مثل تأمين قناة السويس فى مصر (٢٢١)	عدوى العجوز
إشارة إلى برنامج النقطة الرابعة (مساعدات للدول النامية منها إيران) الذى أعلنه الرئيس الأمريكى الأسبق هارى ترومان عام ١٩٤٩ (٢٨٦)	تقديم الأمريكين معونات مالية وغذائية
هروب الشاه من إيران (٣٧٦)	مغادرة الملك برفقة زوجته
سقوط حكومة مصدق وتسلم فضل الله زاهدى مقاليد الأمور، عودة الشاه (٣٨٠-٣٨٢)	الإطاحة بالعجوز وتكليف أحد العسكريين المطرودين بتشكيل الحكومة

عند تحليل السياق التاريخى للرواية وعلاقته بتفكك الخطاب الاستشراقى، علينا أن نجيب أولاً عن السؤال الذى يدور حول سبب عدم إشارة المؤلف مباشرة إلى الأماكن أو الشخصيات، وذلك على الرغم من ذكر العديد من التفاصيل التاريخية لهذه الفترة (كما هو واضح فى الجدول أعلاه). الرواية تحمل عنوان "سباق المسافات الطويلة" أى مسابقة الماراتون. فبالقاء نظرة على الرواية، نجد أن السباق يجرى بين عداءين استعماريين وهما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فالعداء الأول وبعد قرون من التفرد وتحقيق الانتصارات فى ساحة الاستعمار وبينما لم يسبق له أن رأى مغيب الشمس فى مستعمراته، يمرّ اليوم (الخمسينات من القرن العشرين) بمرحلة الاحتضار واعتماداً منه على أساليب وتوجهات امبريالية بالية عفى عليها الزمن، وأصبح عاجزاً

عن تحقيق أهدافه. أما العداء الثانى وهو يتمتع بالقوة والسرعة واعتماداً منه على الأساليب الحديثة قد تقدّم على الآخرين. وعلى هذا، إنّ عبد الرحمن منيف وبغية رسم صورة لهذا التحول المفاجئ للقطب الاستعماري، قد اختار منعطفاً ولحظة مصيرية فى تاريخ الشرق الأوسط: انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري. وكما نعلم بأن هذا الانقلاب قد ظهر فى فترة كانت قد وجّهت نيران الحرب العالمية الثانية ضربات موجعة ومميّنة على جسد القوى الاستعمارية الأوروبية، وجعلت هذه الدول عاجزة عن الحفاظ على مستعمراتها من جهة، ومن جهة أخرى أدّى دخول الأفكار التحريرية الجديدة فى المستعمرات إلى توسيع رقعة الحركات المناهضة للاستعمار وتقويتها فى كافة أنحاء العالم، وأضحت المستعمرات القديمة تخرج من نير الاستعمار واحدة تلو الأخرى لتصبح دول مستقلة. فيمكن إطلاق حقبة موت الاستعمار المباشر المؤسس على هجوم الجيوش والاحتلال العسكري على تلك السنوات (منتصف القرن العشرين) بشكل أو بآخر. لكن هل يمكن ان يندثر الاستعمار، هذه الرغبة الجارحة للإنسان لفرص سيادته والاستغلال، بين عشية وضحاها، وينضمّ إلى أرشيف التاريخ؟ هكذا خرج من رحم الاستعمار التقليدى طفل غير شرعى يدعى الاستعمار الجديد، أمّن المصالح الاستعمارية عبر اللجوء إلى أساليب جديدة مثل جعل اقتصاديات دول العالم الثالث تعتمد على منتج واحد أو تعيين حكومات عميلة له. ففى مثل هذه الأجواء، شكّل انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري منعطفاً كبيراً وكشف النقاب عن التمثال الجديد للاستعمار الحديث. فهذا الانقلاب لم يحوّل الولايات المتحدة من القوة الثالثة إلى القوة الأولى فى إيران (آبراهاميان، ١٣٩٢ش: ٥١٥-٥٢٠) فحسب، بل كان بشكل أو بآخر منطلقاً وأساساً لدخول العالم فى مرحلة ما بعد الاستعمار. فهذه السمات والمكونات الفريدة بنوعها لانقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري جعلت عبد الرحمن منيف ومن خلال تقديم سرد قابل للتأويل لهذا الحدث الجلل وكشف تبنّى الاستعمار سياسات دموية تحقيقاً لمصالحه، أن يعمّم عملية تحوّل الاستعمار لكافة أنحاء العالم ولاسيما منطقة الشرق الأوسط. بعبارة أخرى، إنّ الكاتب لم ينو تقديم رواية تاريخية بجنته للقارئ من خلال تناول الشخصيات والأمكنة التاريخية وباختصار بإضفاء الطابع الموضوعى على

فضاء الرواية، وإنما -وإلى جانب الاستفادة من عنصر التاريخ- قام بتأليف قصة قابلة للتأويل يمكن أن تنطبق على كل دول الشرق الأوسط، بشكل ما، منذ حقبة اكتشاف النفط حتى يومنا هذا.

هذا ويجب التركيز على قضية أخرى ذات صلة بوظيفة انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري عند تقديم قراءة ما بعد الاستعمار لـ"سباق المسافات الطويلة"، وهي الدور المحوري للنفط في تحوّل الاستعمار وإعادة ترتيب القوى الامبريالية في خارطة الجغرافية السياسية العالمية. فانقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ العسكري وبالرغم من مزاعم الإدارة الأمريكية بأنه هدف إلى مواجهة الشيوعية الدولية والحدّ من نفوذ الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، إلا أنه في حقيقة الأمر كان عبارة عن مساعٍ للحفاظ على كارتل النفط الدولي وتحديد المتحكّم في إنتاج النفط وتوزيعه وبيعه منذ تلك الفترة. (آبراهاميان، ١٣٨٩ش: ٢١٨) وعلى هذا، فإن "سباق المسافات الطويلة" تعتبر النفط أهمّ عنصر في دخول الشرق الأوسط مرحلة ما بعد الاستعمار وخروجه من مرحلة الاستعمار التقليدي. يقول لويس ميغيل كانيادا (مترجم مؤلفات منيف للاسبانية) عن صورة الغزو الأمريكي للنفط في "سباق المسافات الطويلة": «تذكرنا هذه الرواية بأنّ النفط، المادة المحايدة في الأصل، ليس له فقط القدرة على رسم الخارطة الجيوسياسية الجديدة للمنطقة، بل وعلى تحديد حاضر ومستقبل الشرق، بل حتى تحديد نظرة الآخر للعرب.» (درّاج وآخرون، ٢٠٠٩: ٥٠٦) تبدأ رواية سباق المسافات الطويلة بهذه العبارة: «من يملك الشرق يملك العالم.» (منيف، ٢٠٠٠م: ٧) لكن كما نعلم أن القوى الاستعمارية قد سعت في مختلف الحقب إلى أهداف مختلفة وراء السيطرة على الشرق. ففي المرحلة الأولى، كان هدف القوى الأوروبية من غزو بوابات الشرق يتمثل في الحصول على الموارد الطبيعية وأسواق البيع. فمثل هذه الأهداف، وفي المقام الأول، تتطلّب تواجد المستعمر المباشر في المستعمرات. لكن شيئاً فشيئاً وبعد اكتشاف الذهب الأسود وإرتفاع الثروات النفطية في الشرق الأوسط، الذي تزامن إلى حدّ ما مع توسيع رقعة الحركات المناهضة للاستعمار، قد استحال استمرار تطبيق الاستراتيجيات السابقة. ففي ظلّ هذا التحوّل النوعي، تقدّم رواية "سباق المسافات الطويلة" صورة

لمساعى قوتين استعماريّتين (بريطانيا والولايات المتحدة) إذ دخلتا الساحة للسيطرة على الشرق الأوسط؛ غير أنّ القضية الجوهرية هنا هى أن الحكومة البريطانية ودون إغارة الاهتمام ببداية دخول العالم مرحلة ما بعد الاستعمار، تبغى إرساء مصالحها اعتماداً على نفس السياسات الاستعمارية السابقة التى سارت عليها. أما الطرف الاستعماريّ الثانى الذى فطن إلى تأثير النفط السحرى فى السيطرة على نبض قوة العالم، يقوم ومن خلال إتباع سياسات الاستعمار الحديث، بتعزيز مصالحها الامبريالية الشاملة فى الشرق الأوسط، دون التواجد العسكرى المباشر فى الشرق الأوسط.

تجدر الإشارة إلى أن جهل المسئولين وصنّاع القرار فى لندن لسياسات البيت الأبيض فى الرواية هذه إنّخذ طابعاً رمزياً أكثر من كونه يحمل حقيقة تاريخية موضوعية، إذ ينظر الكاتب إليه بصفته رمزاً لتحول الاستعمار التقليدى إلى الاستعمار الجديد. غنى عن القول بأنّ الكثير من المؤرّخين والباحثين عزوا انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ إلى تعاون الأنظمة الإستخباراتية الأمريكية والبريطانية الوطيد. (آبراهاميان، ١٣٨٩ش: ٢٢٢) غير أن فى رواية "سباق المسافات الطويلة" يعيش المسئولون والسياسة البريطانيون فى حالة من التوهّم النرجسى، وما زالوا يرون بأنّه بالإمكان السيطرة على الشرق اعتماداً على استراتيجيات الحقبة الفيكتورية. على هذا الأساس، فإنّ التواجد البريطانيّ فى الرواية وحضور عناصره الداخلية الناشطة (شيرين وميرزا وعباس وآية الله و...) الذين يرون أنّ مصالحهم لم تتحقق إلا بالإطاحة بحكومة الدكتور مصدق، واضح وبارز تماماً؛ بيد أن القوات الأمريكية وبشكل عام السياسات الأمريكية، يحيطها الغموض. بعبارة أخرى ومهما فقدت السياسات الامبريالية البالية لبريطانيا (سياسة فرق تسد، وإثارة الأحاسيس الدينية للجماهير، و..) تأثيرها السابق، إلا أنّها تعاد للقارئ فى خضمّ سرد القصة بطابع سخرى؛ لكن سياسات المستعمر الجديدة تُجعل فى خانة الخفاء الكامل. وفى نص "سباق المسافات الطويلة" يرى القارئ بأنّ السياسيين الأمريكيين يرمون الصفقات الخفية مع عناصر للسياسة الداخلية الإيرانية من وراء الكواليس. ومن المدهش أنّ إستراتيجية الولايات المتحدة وسياساتها الإمبريالية تتبرع علامات الاستفهام حتى لعميل مخضرم مثل بيتر ماكدونالد، وتبدو له غامضة ومدهشة:

«الأمريكيون يتدققون مثل الطيور المهاجرة... إنهم موجودون في كل مكان... قلت لمبعوثي الشركة ولراندلى عشرات المرّات إنّ البرابرة أتوا، وهؤلاء يخفون في حقائبهم أشياء كثيرة، لكن لا أحد يسمع. لا أحد يتوقّف عند هذه النقطة.» (منيف، ٢٠٠٠م، ٢٨٠ و ٢٨١) ومثل ماكدونالد مثل كبار المسؤولين في لندن، إذ لا يلمون إماماً دقيقاً بسياسات الولايات المتحدة، بل ينظرون إليها بنظرة أشخاص عدمي الخبرة والحضارة. على سبيل المثال، يقول راندلى (رئيس بيتر ومن رؤساء أجهزة مخبرات بريطانيا) في إحدى رسائله لبيتر ماكدونالد: «إنّ هؤلاء [الأمريكيون] حمقى بالمعنى الحقيقي، وأعتقد أنهم سيقون كذلك حتى لو ملكوا جميع ثروات العالم. المسألة يا بيتر متعلقة بالحضارة، متعلقة بالذكاء.» (المصدر نفسه، ٢٨١) كما أنّ لندن تستخفّ بهم ردّاً على تحذيرات ماكدونالد: «نقدّر باهتمام المعلومات التي وردت في تقريرك الأخير حول وصول أعداد كبيرة من الأمريكيين. إن هؤلاء لا يشكلون خطراً علينا، كما ليس لديهم مطامع في المجال الذي نعمل فيه.» (المصدر نفسه: ٢٨١) وحتى ماكدونالد نفسه يعتبرهم وحوشاً ويقول: «هؤلاء الأميركيون وحوش يلبسون ثياباً غالية الثمن، لكنها ثياب فجة تفتقر إلى الحضارة، وتفضحهم بسرعة.» (المصدر نفسه: ٣٠١) لهذا وفي نهاية القصة وبعد تحقيق المشروع الأمريكي نتيجته، يعيش ماكدونالد حالة حيرة ودهشة: «تكشّفت تفاصيل لم تخطر لي على بال، لكن أغربها كان موقف الأميركيين، فقد كانوا يعملون منذ وقت طويل، دون أن نحسّ، ورغم البلاهة التي تظهر على وجوههم أو في تصرفاتهم، في أحيان كثيرة، إلا أنهم كانوا يعملون، وهم في عملهم يمتازون بشيء أساسي لا يخطئون فيه: يعرفون ماذا يريدون. أما نحن فقد ظللنا فترة طويلة نحلم، نعيش في الماضي، وظللنا بشيء لا يمكن أن نستعيده.» (المصدر نفسه: ٣٩١)

إنّ إخفاق بريطانيا في هذا السباق الامبريالي بلغة رمزية يعني تفكك الخطاب الإشرافي المؤسس على بنية الاستعمار التقليدي وظهور الاستعمار الحديث. فهذا الانهيار يتخذ طابعاً سخرياً في الفصل الأخير للرواية حيث تبدأ مقدمة هذا الفصل بعبارة تشرشل الشهيرة: «لم أصبح رئيس وزراء جلالته الملكة لكي أصفى الإمبراطورية البريطانية.» (المصدر نفسه: ٣٦٧) لكن في نفس الفصل بالذات، تؤول سياسات

بريطانيا الاستعمارية بالفشل، وتعترف بريطانيا بهزيمة امبراطوريتها الاستعمارية: «لكن بريطانيا أصبحت هرمة، صحيح أنها تتزين الآن، تتظاهر بالصبا، لكن يبدو أنّ الأميركيين سيطروا عليها، تماماً كما يسيطر شاب صغير على امرأة مسنة، إنه يحوها إلى قرد... لقد سلّمنا لهؤلاء الخنازير وما علينا إلا أن نتنظر لنرى النهاية.» (المصدر نفسه، ٣٧٣) وفى الصفحات الأخيرة من الرواية، يموت راندلى -الذى أدى فى القصة كلّها دور الأب الروحى لبيتر ماكدونالد- على حين غرّة؛ وموته يرمز إلى إنهاء الإمبراطورية البريطانية أو موت الاستعمار التقليدى: «ربّما كان يفضّل أن يغمض عينيه قبل أن يشهد الجانب الآخر من التلّ، قبل أن يشهد نهاية الإمبراطورية البريطانية.» (المصدر نفسه: ٣٩٤)

مادة الاستشراق: تزلزل الاستشراق فى خضم أفول الإمبراطورية

قد تناولنا فى الأسطر السالفة وظيفة مادة التاريخ فى سرد رواية "سباق المسافات الطويلة". أما المادة الأخرى التى تبرز نفسها بروزاً لافتاً فى هذه الرواية وقد ترك تأثيرها فى الكثير من الجوانب حتى على عنصر التاريخ، فهى الاستشراق. ذلك أنّه كما أشرنا من ذى قبل، فإن الكاتب قد قدّم عنصر التاريخ فى الرواية (فى خضم تأميم النفط وانقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣) بأسلوب غير مباشر وقابل للتأويل، إذ يمكن أن يعمّم على الكثير من الأمكنة والأزمنة التاريخية الأخرى؛ غير أن عنصر الاستشراق يتمتّع بتجليات ومظهرات مختلفة فى "سباق المسافات الطويلة"، لدرجة لو اعتبرناها إعادة كتابة لنص كتاب "الاستشراق" لادوارد سعيد، فلم نقل قولاً جازفاً. وفى جانب حجم السرد يسيطر عنصر الاستشراق فى "سباق المسافات الطويلة" على عنصر التاريخ سيطرة كاملة، وإنّ ثلاثة فصول هى أكبر حجماً من الفصول الخمسة فى الكتاب (الفصل الثانى والثالث والرابع) متأثرة بهذه المادة، وكأن منيف يريد امتزاج كتاب "الاستشراق" لادوارد سعيد ببناء سردى، ويستخرج من جوفه نوعاً فنياً جديداً للقارئ. فيما يلى تناول أولاً الترابطات العميقة بين عنصر الاستشراق ورواية "سباق المسافات الطويلة" وثمّ نقوم بدراسة صورة هذه الرواية لفكيك الاستشراق فى عصر

ما بعد الاستعمار.

ترابط "سباق المسافات الطويلة" بنصوص الاستشراق

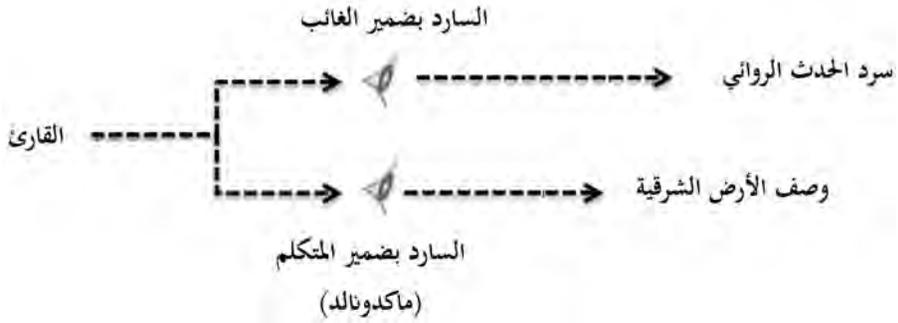
١. تاريخ كتابة الرواية

قد كتب عبد الرحمن منيف سباق المسافات الطويلة بعام ١٩٧٨م أى بعد أشهر من نشر كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد، وقد نشره بعام ١٩٧٩م. بعبارة أخرى، جاءت كتابة "سباق المسافات الطويلة" فى فترة لقيت الصورة العارية والمثارة للجدل التى قدّمها الناقد الفلسطينى-الأمريكى لأسس الاستشراق صدى واسعاً فى العالم ولاسيما الدول العربية. هذا فضلاً عن تاريخ كتابة الرواية، تبين تصريحات الكاتب نفسه، بأنه كان على معرفة تامة بخطاب الاستشراق النقدى ومساعيه لتحدى الصورة المختلفة والمنحازة للمستشرقين من الشرق، إذ يقول فى هذا الصدد: «إننا، كعرب، مرسومون فى ذاكرة الغرب من خلال الاستشراق بانحيازه وأهوائه وقراءته الوحيدة الجانب، وأيضاً بكمّ وفير من العداء وتناقض المصالح، هذا فى إطار التاريخ والعلاقة بين حضارتين وثقافتين! أما الصورة الراهنة فقد أبدع النفط فى رسمها وتقديمها. فنحن، كتلخيص، مجموعة من الشيوخ الأثرياء الكسالى الشبقيين، والفساة القلوب، وجدنا بالصدفة ثروة هائلة تحت أقدامنا: النفط.» (منيف، ٢٠٠٧م: ٩٧)

٢. أسلوب السرد

كما أشرنا فى ملخص الرواية، فإنّ الجلل الأعظم من رواية "سباق المسافات الطويلة" يتكوّن من وتيرة سردية بطيئة تفتقد إلى الأحداث. فى الحقيقة، فإننا نشاهد الحيوية والنشاط النسبى للأحداث وزمن السرد فى الفصل الأول والخامس من الرواية حيث يتناول الكاتب أحداث الانقلاب العسكرى (ما يقارب ١٠٠ صفحة)؛ غير أنه فى النسبة الباقية التى تصل إلى ثلاثة أرباع الرواية (ما يقارب ٣٠٠ صفحة) جعلت مشاهدات بيتر ماكدونالد ومونولوجه الذاتى -الذى يتخذ سمة الوصف المتشائم للغاية، والمظلم لمحيطه، أى الأرض الشرقية (إيران) - جعلت وتيرة السرد يبلغ أكثر الحالات

بطئاً. ولهذا ذهبتُ في مستهلّ هذه المقالة بأن سرد "سباق المسافات الطويلة" هو سرد فريد بنوعه في آثار منيف السردية. وجدير للذكر أن سمة الفريدة بنوعها لا تدلّ على السمة التعقيدية للسرد؛ ذلك أن منيف في مؤلفاته السابقة ("الأشجار واغتيال مرزوق"، و"شرق المتوسط"، ولاسيما "حين تركنا الجسر") واعتماداً على أسلوب تيار الوعي، قد قدّم سرداً أكثر تعقيداً ذات جوانب متعددة؛ غير أننا في "سباق المسافات الطويلة" نواجه سرداً بسيطاً جداً ظهر بأسلوب حكايات الرحلات والأتوبيوغرافى التقليدى، إذ يقدم الراوى مشاهداته من وجهة نظره إلى القارئ. كما ينتقل وصف فضاء إيران في هذه الرواية وبأسلوب الرحلات التقليدية، من وجهة نظر بيتر ماكدونالد إلى القارئ. هذا وهنا من الأفضل استخدام مصطلح "التبئير" (Focalization) بدلاً من مصطلح "وجهة النظر" (Point of view)؛ ذلك أنه في سرد القصة، فضلاً عن مشاهدات ماكدونالد، يتمّ نقل إدراكه وإيديولوجيته الشخصية إلى القارئ. إنّ ماكدونالد في هذه الرواية، ليس مُراقباً لما يحيط به فحسب، بل يقوم متمعداً بإحداث تغيير في وتيرة السرد، وعلى غرار نصوص الاستشراق التقليدية، يقدم صورة إيران كما يريد. على هذا، فإنّ جلّ أجزاء سرد "سباق المسافات الطويلة" قدّمت بأسلوب "التبئير الداخلى" إذ إنّ استيعاب وفهم القارئ لفضاء إيران يبقى محصوراً في إطار معلومات بيتر ماكدونالد واستيعابه للأمر ولا يتجاوز هذا الحد. وهكذا، نرى بأن سرد "سباق المسافات الطويلة" ومع أنه يبدأ بضمير الغائب، إلا أن لهذا السارد حضوراً محدوداً حتى نهاية القصة؛ لكن بعد دخول ماكدونالد في إيران (من الفصل الثانى فصاعداً) يقلّ دور السارد الغائب حضوراً، وبدلاً منه تقود المشاهدات والمونولوج الذاتى لماكدونالد أو -بعبارة أجلّ- تفاسيره ورؤيته المفضّلة لإيران أحداث القصة. بعبارة أخرى، في "سباق المسافات الطويلة"، يقع وظيفة تطوير الحدث السردى وزمنه على عاتق الغائب، بينما السارد بضمير المتكلم (ماكدونالد) يتولّى مهمة وصف فضاء إيران. فى الرسم البيانى أدناه نشاهد أسلوب السرد والتبئير فى رواية "سباق المسافات الطويلة":



ما يثير الانتباه هو أنه حتى في أجزاء الرواية الأولى التي يتمّ السرد من وجهة نظر السارد الغائب، فإنّ وصف فضاء الأرض الشرقية (إيران) يتمّ عبر توظيف أسلوب النقل المباشر من وجهة نظر ماكدونالد إلى القارئ: «في الأسواق المكتظة التي سبق أن مرّ بها في السيارة، بدأ يحسّ هذه المرة أن الأشياء التي يراها أكثر واقعية وبؤساً، وتتسم بالكثير من القسوة والقدارة. قال في نفسه وهو ينظر إلى رجل عجوز يبيع السجائر في دكان صغير: "هؤلاء الشرقيون ولدوا للموت. الموت ينبع من كل شيء فيهم، من النظرات، من التأمل الأبله، من الرخاوة. إنهم أموات بمعنى معين"». (المصدر نفسه: ٩٥)

تستمرّ هذه العملية حتى خروج الراوي الغائب من المشهد نهائياً، ويتفرّد بتر ماكدونالد (الذي يحتلّ مكانة الراوي المتكلم) في عملية السرد. هذا الإحلال يتجلى تجلياً عندما يبلغ الحدث السردى إلى أدنى مستوياته، ويتحوّل وصف الأرض الشرقية إلى العنصر الرئيس للسرد. على سبيل المثال، في القسم الرابع عشر من الفصل الثاني، إذ يتطرّق إلى وصف أجواء إيران، يتمّ سرد القصة من منظور ماكدونالد بالكامل: «حال عودتي إلى بريطانيا سأبدأ بكتابة أشياء كثيرة عن هذا الشرق الغامض؛ إنني الآن أدون ملاحظات كثيرة...» (المصدر نفسه: ٢٤٦)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما علاقة هذا الأسلوب السردى بالاستشراق؟ للإجابة يجب القول بأن المستشرقين (خاصة في عصرهم الذهبي أي القرنين السابع عشر والثامن عشر) كانوا يستخدمون نفس الأسلوب السردى لتقديم صورتهم المصطنعة والمحبّذة والمنحازة ونقلها للبورجوازية الأوروبية؛ صورة تمثّل الشعوب المستعمرة (الآسيوية والإفريقية وأمريكا اللاتينية) نموذجاً للكسل والجهل والضياع، إذ تنتظر

أراضيهم المهجورة والقاحلة والمقفرة مُنقذاً مینهم العمران والنشاط والإنتاج. يقول إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق" عند الحديث عن أسلوب الكتابة لتقديم الصورة أعلاه: «الاستشراق يرى أن الشرق يقتصر وجوده على ما يشاهد، بل وأنه ظلّ ثابتاً فى الزمان والمكان بالنسبة للغرب. النجاح الباهر الذى حققه الاستشراق هو فى مناهجه الوصفية والنصية [...]». فالغرب هو الفاعل، والشرق يقابله برّد سلبي. والغرب هو المشاهد والقاضى وهيته المحلفين فى كل قضية تتعلق بأى جانب من جوانب السلوك الشرقى.» (سعيد، ٢٠٠٦م: ١٩٢-١٩٣) وفقاً لرؤية سعيد هذه، يجب القول بأنه فى "سباق المسافات الطويلة" يحتلّ بيتر ماكدونالد موقف المُشرف والقاضى الذى يرافق إشرافه وتحكيمه الريبة والتشاؤم. فيما يلى نتناول بعض المدلولات البارزة لهذه النظرة الأحادية الجانب.

٣. فحوى الرواية

فضلاً عن أسلوب سرد "سباق المسافات الطويلة" الفريد بنوعه الذى يستحضر بوضوح الأجواء السائدة على نصوص الاستشراق، يستحضر كذلك اهتمام ماكدونالد الكبير فى وصف حياة الأرض الشرقية -وصفاً دقيقاً تُعنى بتفاصيل الحياة اليومية- نصوص الاستشراق. فى الحقيقة، لو تطرقنا فى الموضوع السابق (أسلوب السرد) إلى علاقة أسلوب السرد بنصوص الاستشراق، فهنا نلقى الضوء على حجم الوصف وعلاقته بالنصوص المذكورة أعلاه. فان الملاحظات الشخصية لماكدونالد ووصفه يغطى على وجه التقريب كلّ جوانب الحياة الشرقية. لهذا فإن جلّ فصول "سباق المسافات الطويلة" تشبه فى الغالب موسوعة خيالية تتناول سلوكيات سكان الشرق وممارساتهم، من أن تكون قصة حول كيفية حضور الاستعمار الحديث فى الشرق الأوسط. يقول صلاح صالح فى كتاب "سرد الآخر" حول هذا الحجم الكبير لوصف فضاء الأرض الشرقية: «استأثر وصف الشرق وانتقاده بعين المستعمر الأوروبى الجديد صفحات ومقاطع طويلة، أو مطولة إلى الحدّ الذى يفضح الجهد المبدول من أجل مطّها بشكل بدا مفتعلاً وخارجاً عن السياق العام للرواية، فكلما أوجت نهاية فصل ما بالانتقال

إلى سواه في محطة حديثة جديدة، تتذكّر الرواية عبر ماكدونالد انتقاداً إضافياً أو أهجية أو سوءاً عاماً». (صالح، ٢٠٠٣م: ١٢٢ و ١٢٣) تتطوى الملاحظات الشخصية لماكدونالد على السلوكيات الشرقية وتقاليدهم ومكانة المرأة والعمّال والمنقّفين وأسلوب تناول الطعام وملابسهم. وكما تقول سحر حسين شريف، فإن «هذه النظرة الاستشراقية تشتمل على الإنسان والطبيعة وحتى الحيوانات الشرقية». (حسين شريف، ٢٠١١: ٣١) في الجدول أدناه، نلقى نظرة على بعض جوانب وتحليلات ملاحظات بيتر ماكدونالد لبيئة إيران بمختلف أشكالها:

سلوك الشرقي: «إنّ هؤلاء الشرقيين لهم طبائع خاصة وغريبة، فهم أقرب إلى الحذر والارتياح، يشكّون كثيراً في كلّ شيء، رغم الثبات الظاهري الذي تلمسه في وجوههم. إنهم أقرب إلى الحيوانات الوحشية، لا يتقنون بالآخرين». (منيف، ٢٠٠٠م: ١١٨)؛ «هؤلاء الشرقيون لا يكفون لحظة عن التمثيل والتقليد، إنهم يفعلون ذلك بثقة تصل بعض الأحيان درجة الإزعاج، ورائدلى على حق حين قال إنهم كالقطيع، إنهم دائماً يركضون وراء الدابة الكبيرة». (المصدر نفسه: ٢٢٥)؛ «إن طباع الشرقيين التنكر وعدم الاعتراف بالجميل». (المصدر نفسه: ١٥٤)

المرأة الشرقية: «إنّ المرأة الشرقية مخلوق مختلف عن الرجل الشرقى وعن المرأة الغربية. إن لها عالماً خاصاً وغريباً. وبمقدار ما تبدو شديدة الرغبة في إظهار مفاتها من خلال الملابس والمساحيق والأصباغ التي تستعملها في طلاء الوجه والأظافر... تخاف نفسها وتخاف الآخرين كثيراً... وهي لكثرة تفكيرها في الجنس ورغبتها الهائلة في ممارسته تعرف كيف تكون فنانة لدرجة الإثارة». (المصدر نفسه: ١٣٨)

الملابس الشرقية: «ألوان الملابس بدائية جداً، ولا تتعدى الألوان الرئيسية، أقصد ألوان الطيف الشمسى، وإن كانت الملابس السوداء هي الغالبة عدا فترات الصيف، إذ يتبدل اللون الأسود ويحل مكانه الأبيض... بكلمة واحدة: إن ملابس الشرقيين تعكس طبيعتهم وتفكيرهم. صحيح أن عدداً كبيراً ومتزايداً يلبسون الآن الزى الأوروبي، لكن يحس الإنسان أنهم يفتقرون إلى فلسفة هذا الزى». (المصدر نفسه: ١٣٥-١٣٦)

الأطعمة وطريقة الأكل: «الشرقيون لا يأكلون بقصد الفائدة، إنهم يأكلون بقصد اللذة... غالباً ما تراهم يأكلون، على أرصفة الشوارع، في الدكاكين، في المقاهي، وحتى في دور السينما، وفي الأماكن العامة الأخرى... إنهم يأكلون في كل وقت. ويأكلون كميات كبيرة... إنهم يملأون عشرات الصحون بأشياء لا قيمة غذائية حقيقية لها». (المصدر نفسه: ١٤١-١٤٢)

الطبيعة والطقس: «البرد قاس، ويزيده قسوة بدائية الوسائل المستعملة للوقاية منه. هنا لا يبدأ الربيع هكذا [مثل بريطانيا] إنه انفجار مفاجئ ولا يمكن للإنسان أن ينساه أبداً... الشرق بكلمة واحدة: الشمس. حين تتسلق الشمس الأفق الشرقي، تبدأ الدنيا تغلي، ثم تشتعل، وأخيراً تلتهب. وتنعكس آثار الشمس هنا على الحياة كلها، فالحياة أثناء النهار كسولة ملولة نزقة.» (المصدر نفسه: ١٢٤ - ١٢٦)

حيوانات الشرق: «أما الحيوانات فأقل ما يقال عنها إنها حيوانات شرقية: كسولة، بليدة، بطيئة الحركة وعديمة الاستجابة. يقف الحمار ساعات طويلة في مكانه تحت الشمس المحرقة لا يتحرك. أما القطط والكلاب وغيرها من الحيوانات، فإنها لا تستجيب مطلقاً لدعوة الأكل.» (المصدر نفسه: ١٢٨)

تجدر الإشارة إلى أن القضايا المذكورة أعلاه تعدّ نموذجاً من نماذج كثيرة، لم تتمكن من الإتيان بها كلها في الجدول للحدّ من الإطالة؛ لأنه كما أشرنا سابقاً، فإن ملاحظات ماكدونالد ومونولوجه الذاتي، حول بيئة إيران قد أفردت لها أجزاء كبيرة من الرواية. وغنى عن القول بأنه لأجل فهم أسلوبها السردي يجب الرجوع إلى النصّ الرئيس للرواية، على سبيل المثال يتمّ تخصيص عدة صفحات من الرواية لوصف بيتر للسكوك الشرقيين وتصرفاتهم.

٤. العلاقات التناسية بين الرواية ونصوص الاستشراق

يمثّل السياق التناسي للرواية، إحدى الجوانب البارزة لعلاقة "سباق المسافات الطويلة" بأسس الاستشراق. فالكاتب وإلى جانب محاكاة النصوص الاستشراقية في السرد والمضمون... إلخ، قد أدرج في النصّ الروائي عبارات وأقوالاً للمستشرقين المشهورين والشخصيات البارزة في الإمبراطورية البريطانية في عصرها الذهبي. وإنّ لهذه المقاطع والأقوال وظيفة محورية في تفكك خطاب الاستشراق وهي أنّها في الحقيقة تمثّل شفرات كامنة في النصّ الروائي تُحدث قفزات زمنية تُعيد القارئ إلى عصر الاستشراق الذهبي؛ ومن خلال استدعاء شخصيات تاريخية - التي لعبت دوراً مهماً في بناء الإمبراطورية - تتمّ موازنة بين النصّ الروائي والنصوص الاستشراقية.

هذا السياق التناسي يتكوّن من قسمين مختلفين، لكنهما مترابطين مع بعض: القسم

الأول هو الأقوال المذكورة في مستهل كل فصل، وهى عبارات لشخصيات بريطانية شهيرة ليست إلا، وهى شخصيات لها صلة وطيدة بأسس الإمبراطورية بشكل أو بآخر. فى الجدول أدناه، نلقى نظرة على تلك العبارات:

الفصل الأول؛ شخصية بريطانية مجهولة: «من يملك الشرق، يملك العالم.» (المصدر نفسه: ٧)
الفصل الثانى؛ توماس إدوارد لورنس: «إذا لبست اللباس الشرقى، كن شرقياً بكل معنى الكلمة. اترك على الساحل كل ما هو إنكليزى وتبن العادات الشرقية بكاملها، ويمكن للأوروبى، إذا انطلق من هذا المستوى، أن يتغلب على الشرقيين فى ميدانهم الخاص.» (المصدر نفسه: ٩٣)
الفصل الثالث؛ توماس إدوارد لورنس: «إكسب ثقة زعيمك واحتفظ بها. إياك أن ترفض الخطط التى يتقدم بها، لكن تأكد من عرضها عليك أولاً. وافق عليها دائماً، ثم بعد أن تمتدحها إعمل على تعديلها بشكل يدل على أن التعديل هو من اختراعه...» (المصدر نفسه: ١٤٩)
الفصل الرابع؛ ١. كليمان (مؤرخ بريطانى): «كان على بريطانيا أن تعارض المطامع الإقليمية لحلفائنا منذ البداية، وأن تبين لهم أن هذه المعارضة لا تتنافى وأصول السياسة.» ٢. رئيس وزراء بريطانيا: ليس لبريطانيا أصدقاء دائمون، وليس لها أعداء دائمون، إن لبريطانيا مصالح دائمة» ٣. توماس إدوارد لورنس: «التصر مع الإخلال بالوعد أفضل من الهزيمة» (المصدر نفسه: ٢٧٧)
الفصل الخامس؛ تشرشل: «لم أصبح رئيس وزراء جلالة الملكة لكى أصفى الإمبراطورية البريطانية.» (المصدر نفسه: ٣٦٧)

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة هو أن العبارات أعلاه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكل فصل من الفصول الخمسة. ففي الفصل الأول، الذى يعد نوعاً ما منطلق السباق الاستعماري، وردت عبارة «إن من يملك الشرق، يملك العالم» التى تبرر بشكل أو بآخر رحلة ماكدونالد للشرق بغية السيطرة عليه وإحياء الإمبراطورية. أما فى الفصلين الثانى والثالث أى بالتزامن مع دخول ماكدونالد إيران وبالتالى سيطرة الأجواء الاستشراقية على فحوى الرواية، ترد عبارات شهيرة لتوماس إدوارد لورنس (لورنس العرب) الذى كان من أنجح الشخصيات فى تاريخ الإمبراطورية البريطانية وتمير السياسات الاستعمارية فى الشرق الأوسط؛ وفى الفصل الرابع، حيث يبلغ السباق

الاستعماري ذروته، يذكر الكاتب عبارات تدلّ على جوهر الخطاب الاستعماري وسياسة الإمبريالية التي لا تعترف بأى صداقة عند سعيها تحقيق مصالحها التوسّعية. وأخيراً وفي الفصل الخامس، إذ يرسم الكاتب هزيمة بريطانيا في السباق الاستعماري وتفكك خطاب الاستشراق، تظهر عبارة شهيرة لتشرشل في مقدمة الفصل يستبعد فيها رئيس الوزراء البريطاني المحنك سقوط الإمبراطورية.

غير أنّ لهذا السياق التناسي جزءاً آخر يزيد حجماً عمّا ورد في مستهلّ الفصول من أقوال، وهو كلمات وعبارات راندلي يتردّد صداها بشكل مباشر أو غير مباشر في رأس ماكدونالد كنزول الوحي السماوي: «وعاد يتذكّر كلمات راندلي...» (المصدر نفسه، ٧٢) وراندلي الذي عمل مسئولاً رفيع المستوى للحكومة البريطانية في مستعمراتها المختلفة في كافة أنحاء العالم، يلعب اليوم دور الأب الروحي لبيتر حاملاً عالماً من الخبرة الاستعمارية ورأساً له خارطة الطريق: «انتبه يا بيتر... هؤلاء الناس لهم صفتان: الحماقة والسرعة. إنهم حمقى لا يعرفون شيئاً، لا يعرفون كيف يفكّرون، كيف يتصرّفون، ولذلك فإنّ كلّ أفكارهم وتصرفاتهم تتّسم بهذا المقدار الكبير من الحماقة... يجب أن تتخيل جزءاً كبيراً من حماقاتهم وتحمّلها، تتبسم لها، لأنّ كلّ خطوة حمقاء تقربّ الطريدة من الصياد...» (المصدر نفسه، ٣٣) السياق التناسي هنا يكمن في الانطباق الكامل بين خطاب راندلي وخطاب لورنس وآخرين من الشخصيات الاستعمارية البارزة التي وردت أقوالهم في مستهلّ الفصول: «لا تقل لهم شيئاً نهائياً، إنهم عنيدون، إذا تصوّروا أنّ لنا رأياً غير رأيهم فسوف يصبحون خصوماً لنا، دعهم يظنّون أنّ ما يقولونه وحده الصحيح، لكننا وحدنا سنفعل ما نراه ضرورياً وصحيحاً.» (المصدر نفسه، ٨٢)

أقول الاستشراق في عصر ما بعد الاستعمار

ما ذكرنا من قضايا تؤيد العلاقة الوطيدة التي تربط رواية "سباق المسافات الطويلة" بأسس الاستشراق؛ غير أنه لمن الواضح بأن منيف لم يتحمّل عناء تأليف رواية كبيرة تضم ما يقارب ٤٠٠ صفحة حتى يقدّم نسخة طبق الأصل للقراء، ويقول لهم، على

سبيل المثال، بأن المستشرقين الغربيين كانوا يضعون الشرق محور أو موضوع دراساتهم وبحوثهم التاريخية والثقافية. فمن منظار نقد ما بعد الاستعمار، تحمل "سباق المسافات الطويلة" رسالة موت الاستشراق التقليدي أو على أقل تقدير، تحوُّله النوعي في عصر ما بعد الاستعمار. فلو كان الاستشراق سابقاً يعنى تحوُّل الشرق إلى موضوع للدراسات الغربية أو، بعبارة أجل، نظرة "أنا" الغربي إلى "الآخر" الشرقي، ففي "سباق المسافات الطويلة" قد تغير طرفا المعادلة أي "أنا الغربي" و"الآخر الشرقي" ودخلت هذه الثنائية مرحلة جديدة لم يعد فيها المشاهد الغربي -أو على أقل تقدير بنفس أسلوب وسياق النصوص الاستشراقية- بمقدوره إعتبار الشرق الآخر (عديم الحضارة/همجياً/ذا البشرة السمراء...). بيان آخر، إنَّ الكاتب يدحض الخطاب الاستشراقي بل يستهزئ بأسسه عبر تقديم صورة جديدة عنه تزخر بالمفارقة والتناقض. وبغية فهم هذه الصورة الجديدة في رواية "سباق المسافات الطويلة" نقوم بتحليل الموضوع من منظار طرفي المعادلة: بيتر ماكدونالد (أنا الغربي) والمجتمع الإيراني (الآخر الشرقي).

١. انهيار الاستشراق من منظار "أنا" المستعمر

إنَّ بيتر ماكدونالد، هذا العميل البريطاني في إيران، شخصية متعجرفة وأنانية، دائماً ما يضع في الرواية قيمه المعيارية/المدنية/المتقدمة أمام قيم الشرقي غير المعيارية/البدوية/الدينية. وكما لاحظنا في الجدول الخاص بفحوى الرواية، فإنه يرى أن الشرقيين غارقين في الغرائز الإنسانية الدنيئة، ولا قيمة روحية ومتقدمة للإنسان الشرقي، من منظاره الضيق؛ يكيل المدح لحضارته الغربية وثقافته البريطانية ويرى أن حضارة الآخر رذيلة وغير إنسانية؛ حتى الطبيعة والحيوانات الشرقية ليست بمنأى عن نظرة بيتر الاستشراقية. لكن هذا الخطاب الاستشراقي المتعجرف يفقد مصداقيته وصوابيته بل يتخذ طابع المفارقة والسخرية لما يقع إلى جانب الهدف الذي يسعى بيتر وراءه ولأجله قصد الأرض الشرقية (إيران). وعبارة أخرى لو كان المستشرقون في عصر فيكتوريا يتظاهرون بأنهم يقصدون الشرق بهدف الاستطلاع وكشف مكامن السرِّ في الشرق راغبين نقل الحضارة إلى أناس غير حضاريين، فالיום تمَّ إفاد بيتر ماكدونالد

من مركز الإمبراطورية الاستعمارية إلى أرض شرقية لى يضمّن مصالح بريطانيا الاستعمارية فى الشرق، وذلك باللجوء إلى العنف ومختلف الأساليب الإرهابية (القتل والإغتيال والانتقال والابتعاد ..). فى كتابات الاستشراق، كانت الشعوب الشرقية نموذجاً للبربرية والعنف والبداءة تنبهر بالغرب انهاراً مطلقاً وتنتظر رسالة الاستعمار المتقدمة لتخرج من النزق وتواكب الحضارة الجديدة؛ بينما فى "سباق المسافات الطويلة" وعبر التظاهرات التى ذكرناها أعلاه (أسلوب السرد، وفحوى الرواية، والعلاقات التناسية) تسقط الأفتعة وينكشف زيف الخطاب الاستعماري، إذ نرى الجانب الغربى، وحفاظاً على ثرواته النفطية ومصالحه الإستراتيجية، يمارس أشرس أساليب الإبتزاز منها القتل والإغتيال والانتقال العسكرى، وذلك فى بلد يتمتع بسيادة أرضية مستقلة. فضلاً عن هذا، فإنّ عنفه فى حقبة ما بعد الاستعمار، انتقل من السطح إلى الجوف واتخذ منحى جديداً متطوراً مع دخول الإمبرالية الجديدة على الساحة.

لكن هذه المفارقة لها وجه آخر، ألا وهو تشكيك بيتر ماكدونالد نفسه فى إستمرارية عظمة الإمبراطورية وإعادة هيمنتها على الشرق. فى خضمّ أحداث الرواية، يرى بيتر ماكدونالد بأّم أعينه تهميش بريطانيا المتزايد فى معادلات سياسية للأرض الشرقية، وكذلك تغيير نظرة المجتمع الشرقى إلى الإمبراطورية البريطانية، مستهزئاً عبر مونولوجه الداخلى أسس الإمبراطورية البريطانية: «يكن أن تفكر لندن وتقرّر كما تشاء، لكن أقلّ وصف يمكن أن توصف به أفكارها وقراراتها هو أنها غبية... غبية حتى الثمالة.» (المصدر نفسه: ٢٣١) ويذمّ سياساتهم التسلّطية للإنسانية: «لندن لا قلب لها؛ إن الدولة ليست مجموعة أفراد، إنها كتلة صماء لا تعرف المشاعر أو اللحظات الإنسانية، تعرف فقط المصالح؛ والإنسان الفرد بمقدار ما يخدم هذه المصالح، فإنه موجود ومقبول.» (المصدر نفسه: ٣٣٧) ويصف سياسيات لندن البالية، التى فقدت مفعولها كما كانت عليه سابقاً، بالمتخبطة. على سبيل المثال، نعرف بأن إحدى سياسات الاستعمار الكلاسيكى كانت تبجيل تقاليد وعادات سكان المستعمرات وحتى التقمّص بها فى وقت الضرورة؛ لكن بيتر يرى بأن مثل هذه السياسات عفى عليها الزمن وهى الآن عديمة الفائدة فقدت فاعليتها السابقة: «يجب أن أصبح قرداً وأرقص لهؤلاء الشرقيين من

أجل أن يرضوا، عند ذاك يمكن لراندلى أن يعتبرنى ناجحاً... ومثل هذا التصور الأبله ينتهى إلى فاجعة.» (المصدر نفسه: ٢٣٣) ويصف الساسة البريطانيين بالحمقى: «مهما قالت لندن، فإن رجالنا أغبياء، أنانيون، كسالى، مليئون بالأحلام.» (المصدر نفسه: ٢٨٦) وأخيراً يوجّه مكدونالد، بعد مشاهدة سلوكيات وتصرفات الشرقيين ومعتقداتهم عن كذب، النقد اللاذع لكتابات المستشرقين، ويعدّ صورته المرسومة عن الشرق وهمية لا تمتّ بالحقيقة بصلة: «ليس سهلاً أن تفهم الشرق أو تتعامل معه، حتى لتبدو لى الآن جميع الكتب التى قرأتها أو الأحاديث التى سمعتها عن الشرق مجرد كلمات فارغة التقطها أناس عابرون وسجّلوها بطريقة ما لكى يدللوا لأنفسهم أو لمواطنيهم أنهم زاروا الشرق وعرفوا أسرارها.» (المصدر نفسه: ٢٤٧)

٢. إنهاء الاستشراق من منظار "الآخر" المستعمر

أما الجانب الآخر من تفكّك خطاب الاستشراق يرتبط بالطرف الثانى للمعادلة أى "الآخر الشرقى"؛ الآخر الطالب بهوية مستقلة لذاته وهو يرمّ بفترة أفول الاستعمار، داحضاً خطاب الاستشراق الضيق الذى يهّمشه ويعتبره الآخر. إن عملية التحول فى عقلية الشرقيين تأخذ تجليات متعددة فى "سباق المسافات الطويلة" يمكن العثور على أبرزها وأكثرها فنية فى الجزء العاشر والحادى عشر من الفصل الرابع للرواية. فى هذين الجزئين، تقوم لندن باستدعاء بيتر مكدونالد وإرغامه على رحلة سياحية فى الأرض الشرقية. إنه يختار منطقة ساحلية شمالى البلاد تتمتع بأجواء طيبة ومناظر خلابة (تنطبق تماماً على المناطق المطلّة على بحر قزوين شمالى إيران). إنها المرة الأولى التى تتسنى لمكدونالد الفرصة طيلة سنوات تواجده فى إيران كى يتسكّع فى الأحياء الشعبية ويتعرّف عن كذب على معتقدات عامة الناس وأفكارهم. القضية الملفتة للنظر هى أنّ ثمة أجنب آخرين يعيشون فى القرية التى يسكن فيها بيتر، وهم من أبناء دول أوروبية غير إستعمارية مثل اليونان والنرويج وبلغاريا. لقد قصد هؤلاء كلّهم أرض إيران لأهداف ونوايا حسنة، إذ يعمل البلغارىون واليونانيون فى مصانع إنتاج السكر بالقرب من القرية، والعالم النرويجى قصد المنطقة للقيام بأبحاث حول النباتات فى هذه المنقطة.

فى مثل هذه الأجواء وبينما يتوقع بيتر أن يحترمه السكّان المحليون احتراماً ويخضعون أمامه ويمدحون مكانته، بصفته موفداً من الحكومة البريطانية وبصفتهم آخرين ومهمّشين، يتفاجأ من ردّة فعلهم وتعاملهم معه الذى يتّسم بالريبة والشكّ وحتى العداء: «منذ اللحظة التى وصلتُ فيها، وأينما كنتُ أذهب، كنت أقابل بنظرات التوجّس والتساؤل، ولقد خلق هذا حاجزاً بينى وبين الناس.» (المصدر نفسه: ٣٤٤) لكن فى المقابل، يرى بيتر بدهشة أنّ السكّان المحليين يتعاملون من منطلق حسن الضيافة والطف والمحبة مع الأوروبيين الآخرين وقد بنوا علاقات وطيدة بهم: «كان السكّان المحليون ينظرون إلى هؤلاء البلغار بنوع من المودّة الظاهرة، وكانوا لا يتردّدون فى أن يستوقفوهم فى الشارع ويتحدّثوا إليهم. وأنا... لماذا ينظرون إلى تلك النظرة المرتابة الحائفة؟ إننى الآن أتساءل بمراة: أين كنا؟ وماذا فعلنا؟ ولماذا ينظر إلينا الناس هذه النظرة؟... لماذا يتعاملون مع ذلك الترويجى الذى لا أحد له، ولم يفعل من أجلهم شيئاً، بطريقة تختلف عن الطريقة التى يتعاملون بها معى؟» (المصدر نفسه: ٣٤٦) فضلاً عن السكّان الأصليين، يسعى الأوروبيون المهاجرون أيضاً إلى الإبتعاد عن بيتر قدر الإمكان: «كان بودى أن احتكّ بهم [البلغار] وأن أحادثهم، لكن حين عرفوا أنى إنكليزى، تظاهروا تماماً أنهم لا يحسنون كلمة واحدة من الإنكليزية.» (المصدر نفسه: ٣٤٥)

فى الحقيقة، فإن هذه الإزدواجية فى التعامل مع الأوروبيين المستعمرين وغير المستعمرين تعبّر عن تفكك مفهوم الأنا/الآخر أو التحوّل النوعى الذى يطراً عليه فى عصر ما بعد الاستعمار. فالسكّان المحليون، الذين يمكن اعتبارهم بالعلاقة الجزئية كلّ شعوب الشرق، لم يعد يتحملون سيطرة المركزية الأوروبية وتفرعنها. فإنّ حضور الأوروبيين بمختلف أعراقهم وأفكارهم، هو تأكيد على أنه فى عصر ما بعد الاستعمار، لم تعد الشعوب الشرقية مهمّشين مستعمرين كما كانوا عليه بالأمس، وإنما يطالبون ببناء علاقة يسودها الاحترام المتقابل، فى البحث عن الهوية المستقلة؛ وهذا ما يستنتجه بيتر فى آخر لحظات تواجده فى تلك المنطقة: «فى الشرفة المطلّة على البحر، فى ذلك الصباح من آب، عرفت ماذا تعنى بريطانيا، الآن، خاصة بالنسبة لهؤلاء الشرقيين! وتأكدت أن كثيراً من الأحلام التى ملأت رؤوسنا، خلال عشرات السنين، تنهار وتنتهى

دفعة واحدة... وأنا بيتر ماكدونالد، واحد من الحالمين الكبار، أستيقظ الآن...» (المصدر نفسه: ٣٥٣) ويعمّم الوعي الجديد بالهوية على الشرق برمّته: «إنّ ما حصل في هذه الأيام يمثّل الشرق تماماً، ويعطى فكرة دقيقة عن طريقة الشرقيين في التفكير والمقاومة.» (المصدر نفسه: ٣٩٢)

النتيجة

إنّ رواية "سباق المسافات الطويلة" سواء في جانب محورية شخصية المستعمر أو في جانب تماثل نصوص الاستشراق، تمثّل منعطفاً ضمن أعمال عبد الرحمن منيف السردية. إنّ الدلالات ما بعد الاستعمارية لهذه الرواية تتجلّى في عنصرى التاريخ والاستشراق.

في مادة التاريخ، قد اختار المؤلف انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ في إيران رمزاً لدخول العالم في مرحلة ما بعد الاستعمار وظهور الاستعمار الحديث. على هذا، فإن بريطانيا التي تمثّل الاستعمار التقليدي، مازالت تحاول وبأساليب استعمارية في العصر الفيكتوري، الحفاظ على مصالحها في الشرق، غير أن القوة الإمبريالية الجديدة المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، مدركة طبيعة العلاقات في المرحلة الجديدة للعالم ولاسيما تأثير النفط الكبير، تُعيد ترتيب الهيمنة الإمبريالية.

في مادة الاستشراق، تحمل رواية "سباق المسافات الطويلة" رسالة موت الاستشراق الكلاسيكي أو، على أقلّ تقدير، تحوّل في حقبة ما بعد الاستعمار. فهذه الرواية لها علاقات وطيدة بنصوص الاستشراق يمكن ملاحظة أبرزها في أسلوب السرد ومضمون الرواية والسياق التناصي للرواية مع النصوص الاستشراقية. لكن بالرغم من تلك العلاقات فإنّ "سباق المسافات الطويلة" وخلافاً للنصوص الاستشراقية التقليدية التي كانت تقدّم صورة نموذجية للحضارة الغربية، فإنها ترسم الأهداف الخطيرة للإمبراطورية البريطانية في الحفاظ على مصالحها الاستعمارية في الشرق، وذلك من منظور "أنا المستعمر" و"الآخر المستعمر". فمن منظر "أنا المستعمر"، تستهزئ الشخصية الرئيسية للقصة بأسس الإمبراطورية وذلك فضلاً عن فضح سياسات بريطانيا في الحفاظ على

مصالحها فى الشرق، وتصف استمرار سياساتها الاستعمارية التقليدية بغير المجدية والعبثية. أما من منظور "الآخر المستعمر" فإن "سباق المسافات الطويلة" تقدّم صورة مختلفة لأسلوب مقاومة المجتمعات الشرقية بوجه المركزية الأوروبية؛ وفى هذه الرواية، يتعامل عامة الناس فى الأرض الشرقية (إيران) وخلافاً لساقتهم، تعاملوا مهيناً ومريباً مع مندوب من الاستعمار التقليدى. إنهم لم يعد يتحملون سيطرة المركزية الأوروبية كما كانوا بالأمس، وإنما يطالبون ببناء علاقة مؤسسة على الاحترام المتقابل، باحثين عن هوية مستقلة.

المصادر والمراجع

- آبراهاميان، يرواند. (١٣٩٢ش). إيران بين دو انقلاب. ترجمة احمد گل محمدى ومحمد إبراهيم فتاحى. ط ٢١. طهران: نشر نى.
- . (١٣٨٩ش). تاريخ إيران مدرن. ترجمة محمد إبراهيم فتاحى. ط ٣. طهران: نشر نى.
- إبراهيم، صالح. (٢٠٠٤م). أزمة الحضارة العربية فى أدب عبدالرحمن منيف. ط ١. بيروت: المركز الثقافى العربى.
- بلقزيز، عبدالإله وآخرون. (٢٠١٣م). الثقافة العربية فى القرن العشرين. ط ١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بوشعير، الرشيد. (٢٠١١م). «مساءلة التاريخ فى رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف». مجلة فكر وتقد. العدد ٣٨، إبريل. صص: ١٤٤-١٣٦
- جاسم الموسوى، محسن. (١٩٨٨م). الرواية العربية (النشأة والتحول). ط ١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حسين شريف، سحر. (٢٠١١م). دراسات نقدية فى الرواية العربية. ط ١. القاهرة: دار المعرفة الجامعية. دراج، فيصل وآخرون. (٢٠٠٩م). عبدالرحمن منيف ٢٠٠٨. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. سعيد، إدوارد. (٢٠٠٦م). الاستشراق. ترجمة محمد عنانى. ط ١. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع.
- صالح، صلاح. (٢٠٠٣م). سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية. ط ١. بيروت: المركز الثقافى العربى. منظم، هادى؛ كبرى روشنفكر، ومحمد رجبى. (١٣٩٩ش). «الآخر الشرقى من منظور الأنا الغربية فى رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف». مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. السنة ٢٣، العدد ١، ربيع وصيف. صص ٢٨٦-٢٥٩
- منيف، عبدالرحمن. (٢٠٠٠م). سباق المسافات الطويلة. ط ٨. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ————. (٢٠٠٧م). الكاتب والمنفى. ط ٤. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ناظميان، رضا؛ فاطمة كاظمی. (۱۳۹۴ش). «تاريخ مدارى در رمان هاى "سووشون" از سيمين دانشور و "سباق المسافات الطويلة" از عبدالرحمن منيف». نشریه ادبيات تطبيقی. پاییز وزمستان. دوره ۷، شماره ۱۳. صص ۲۶۸-۱۴۵

